النفط العربي في خدمة المعركة

الدكتور طارق يوسف اسماعيل

الذين يلمون بالسياسة الدولية يعلمون ان أهم مقومات العلاقات الدولية هو ما يطلق عليه بالمصلحة القومية وهي المؤثر الاول في السياسة الخارجية لاي دولة ، فهي التي تقرر اتجاه العلاقات الدولية لاي امة مهما عظم شأنها او قلت اهميتها . فالمصلحة القومية اذن هي المحور الرئيسي لسياسة اي دولة لانها منبع حاجة ذلك الشعب وهي التي تعبر عن حاجاته وتطلعاته وآماله ، وبالطبع عن ارائه في الحياة وفلسفته في الوجود . ولهذا فان المصلحة القومية يمكن ان تعتبر العامل الاول في تكوين وتطوير وادارة السياسة الخارجية لكل أمة .

ويعرف دارسو العلاقات الدولية المصلحة القومية بانها كل ما يتعلق بصيانة استقلال الدولة وأمنها ، وتأمين استمرار سيادتها والحفاظ على رضاء مواطنيها . ويميز علماء السياسة بين شكلين من اشكال المصلحة القومية ، الاول ما يسمى بالمصلحة الحيوية والثاني بما يدعى بالمصلحة الثانوية والفرق بينهما في النوعية والاهمية فقط ، فالامم عادة تجند كل امكاناتها ، وفي معظم الاحيان تخاطر بكل ما لديها من اجل الدفاع عن مصلحتها الحيوية ، اذ ان المصلحة الحيوية تعني امورا مهمة تتعلق بكيان الدولة كالدفاع عن الدولة وسيادتها ومعتقداتها وما تعتبره اساسيا لبقائها، بينما المصلحة الثانوية تتضمن امورا لا يعني عدم وجودها انتقاصا من الاستقلال ولكنها تدعم السيادة وتؤمن تحقيق امال مواطنيها واطماحهم . فبالامكان تحويل المصلحة الثانوية الى مصلحة حيوية والعكس بالعكس . وتتغير تلك المصالح من مكان الى مكان ومن زمان الى اخر . فما هو حيوي لدولة اليوم قد لا يكون مهما غدا وربما لم تكن له اهمية بالامس . وما هو حيوي لدولة ما قد لا يكون الا ثانويا لاخرى او عديم الاهمية لثالثة او قد يكون مهما لعدد من الدول .

فالنفط العربي لم يكن مهما للدول الغربية ثم اصبح جزءا من مصلحتها الثانوية خلال الخمسينات . وكان بيع النفط واثمانه مصلحة حيوية بالنسبة للدول العربية المنتجة للنفط اذ بدونه لا يمكن ان تواجه متطلبات شعوبها وحتى لا يمكن لها ان تعيش بدون اثمانه .

وبهذا كانت حياة الدول المنتجة للنفط بيد الدول المستهلكة وجاءت السبعينات واحدثت ثورة في هذه العلاقة . فالدول المنتجة الان لديها من الفائض النقدي ما يمكنها من العيش باقل من ربع واردات نفطها وفي حالة السعودية بدونه وكذلك الكويت هذا مع العلم بان الدول المستهلكة للنفط تحتاج الى ضعف ما ينتج الان ليفي باحتياجاتها . وازمة الطاقة التي تمر بها الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية تجعل تأمين ضخ النفط اليها حاجة ماسة ومصلحة قومية . في ضوء ما تقدم يمكن للعرب استعمال هذه القوة التي لديهم الان اما لتحييد تلك الدول في النزاع العربي الاسرائيلي او الضغط عليها بتغيير سياساتها لصالح العرب . واقل ما يمكن ان يحدث هو عدم زيادة الانتاج للوفاء باحتياجات تلك الدول . وفي بعض الحالات فان المصلحة القومية الحيوية لبلادنا تقتضي عدم زيادة الانتاج حاليا لان مستقبل بعض الدول المنتجة سوف يكون مظلما اذا ما نضب لديها النفط ، والتوقعات لذلك ليست بعيدة عن بداية القرن القادم .

في الصفحات التالية سنحاول بيان اهمية النفط العربي في الاقتصاد العالمي واثر ذلك في السيطرة النقدية وسنقدم بعض المقترحات عن كيفية استعمال هذا السلاح لاغراضنا القومية .